

«نشاط إشعاعي» فيلم يمزج الوثائقي بالدرامي

سيرة عالمة ماري كوري من الهجرة والاعتراب إلى الاكتشافات وجوائز نوبل

عليك أن تطلق فضولك باتجاه الأفكار لا باتجاه الأشخاص وأن تعيش متعة لا تضاهيها متعة الغوص في بحار العلوم. تلك هي كلمات ماري كوري يوم كانت تبحر وحدها في قارب تتقاذفه الأمواج، امرأة يطبق عليها المجتمع من جميع الجهات ويخنق حركتها وحرّيتها لمجرد كونها امرأة ومن ثم تنتشد العلم، فتلك مشكلة بلا حل في تلك الأزمنة.

الزوجة التي تبحث عنها. لكن الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى بيير (الممثل سام ريلي) إذ لا وقت لمثل ذلك الاستدراك فعملية العلم تدور والمنافسة تشدّ ولا بد من الإنجاز، ولهذا يقترنان ويمضيان في تجاربهما.

أطشان من المواد الخام من الفحم والصخور تتولى ماري وزوجها طحنها بتلك الوسائل التقليدية التي كانت سائدة في عصرهما، وفي وسط تشكك علماء كبار بما يقومان به، تنتهي بهما إلى اكتشافين خطيرين قلبيا علوم الكيمياء والذرة رأسا على عقب، إذ عملا على مشروعات منفصلين. وكانت ماري مفعلة بأبحاث عالم الفيزياء الفرنسي هنري بيكريل الذي كان قد اكتشف أن اليورانيوم هو عنصر تبعث منه إشعاعات أضعف من تلك المنبعثة من الأشعة السينية.

واستكمالاً لما اكتشفه بيكريل قامت ماري بعدة أبحاث على الأشعة المنبعثة من اليورانيوم، واكتشفت أن الأشعة المنبعثة تبقى ثابتة بغض النظر عن شكل الذرة، ووضعت فرضية مفادها أن الأشعة تنبعث من البنية الذرية للعنصر نفسه وليس من تفاعل حاصل بين الذرات.

وأُسست هذه النظرية المجال المعروف بـ«الفيزياء الذرية»، وابتكرت ماري مصطلحا جديدا هو «النشاط الإشعاعي» يصف ظاهرة الإشعاع الناتج عن الذرة. وكل هذه الأجواء المحتشدة بالعمل المضمّن كان لا بد لها أن تتوج بإنجاز عظيم.

وأسست هذه النظرية المجال المعروف بـ«الفيزياء الذرية»، وابتكرت ماري مصطلحا جديدا هو «النشاط الإشعاعي» يصف ظاهرة الإشعاع الناتج عن الذرة. وكل هذه الأجواء المحتشدة بالعمل المضمّن كان لا بد لها أن تتوج بإنجاز عظيم.

وأسست هذه النظرية المجال المعروف بـ«الفيزياء الذرية»، وابتكرت ماري مصطلحا جديدا هو «النشاط الإشعاعي» يصف ظاهرة الإشعاع الناتج عن الذرة. وكل هذه الأجواء المحتشدة بالعمل المضمّن كان لا بد لها أن تتوج بإنجاز عظيم.

وأسست هذه النظرية المجال المعروف بـ«الفيزياء الذرية»، وابتكرت ماري مصطلحا جديدا هو «النشاط الإشعاعي» يصف ظاهرة الإشعاع الناتج عن الذرة. وكل هذه الأجواء المحتشدة بالعمل المضمّن كان لا بد لها أن تتوج بإنجاز عظيم.

وأسست هذه النظرية المجال المعروف بـ«الفيزياء الذرية»، وابتكرت ماري مصطلحا جديدا هو «النشاط الإشعاعي» يصف ظاهرة الإشعاع الناتج عن الذرة. وكل هذه الأجواء المحتشدة بالعمل المضمّن كان لا بد لها أن تتوج بإنجاز عظيم.

وأسست هذه النظرية المجال المعروف بـ«الفيزياء الذرية»، وابتكرت ماري مصطلحا جديدا هو «النشاط الإشعاعي» يصف ظاهرة الإشعاع الناتج عن الذرة. وكل هذه الأجواء المحتشدة بالعمل المضمّن كان لا بد لها أن تتوج بإنجاز عظيم.

وأسست هذه النظرية المجال المعروف بـ«الفيزياء الذرية»، وابتكرت ماري مصطلحا جديدا هو «النشاط الإشعاعي» يصف ظاهرة الإشعاع الناتج عن الذرة. وكل هذه الأجواء المحتشدة بالعمل المضمّن كان لا بد لها أن تتوج بإنجاز عظيم.

وأسست هذه النظرية المجال المعروف بـ«الفيزياء الذرية»، وابتكرت ماري مصطلحا جديدا هو «النشاط الإشعاعي» يصف ظاهرة الإشعاع الناتج عن الذرة. وكل هذه الأجواء المحتشدة بالعمل المضمّن كان لا بد لها أن تتوج بإنجاز عظيم.

وأسست هذه النظرية المجال المعروف بـ«الفيزياء الذرية»، وابتكرت ماري مصطلحا جديدا هو «النشاط الإشعاعي» يصف ظاهرة الإشعاع الناتج عن الذرة. وكل هذه الأجواء المحتشدة بالعمل المضمّن كان لا بد لها أن تتوج بإنجاز عظيم.

وأسست هذه النظرية المجال المعروف بـ«الفيزياء الذرية»، وابتكرت ماري مصطلحا جديدا هو «النشاط الإشعاعي» يصف ظاهرة الإشعاع الناتج عن الذرة. وكل هذه الأجواء المحتشدة بالعمل المضمّن كان لا بد لها أن تتوج بإنجاز عظيم.

وأسست هذه النظرية المجال المعروف بـ«الفيزياء الذرية»، وابتكرت ماري مصطلحا جديدا هو «النشاط الإشعاعي» يصف ظاهرة الإشعاع الناتج عن الذرة. وكل هذه الأجواء المحتشدة بالعمل المضمّن كان لا بد لها أن تتوج بإنجاز عظيم.

وأسست هذه النظرية المجال المعروف بـ«الفيزياء الذرية»، وابتكرت ماري مصطلحا جديدا هو «النشاط الإشعاعي» يصف ظاهرة الإشعاع الناتج عن الذرة. وكل هذه الأجواء المحتشدة بالعمل المضمّن كان لا بد لها أن تتوج بإنجاز عظيم.

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم
في لندن

لندن - تهاجر الفتاة البولندية النحيفة ماري كوري في فيلم «نشاط إشعاعي» (تؤدّي الدور الممثلة روزاموند بايك) إلى فرنسا وتؤسس علمها هناك ابتداءً من عام 1891، عندما وصلت إلى باريس صحية شقيقتها برونيا لتتطلق رحلة الإنجاز والنجاحات والأحزان والحياة العائلية في آن واحد.

وما بين ترقيتها على عرش العلم وبين استرجاعها لتاريخها سوف تبدأ مشاهد هذا الفيلم للمخرجة الفرنسية من أصل إيراني مرجان سترابي، وحيث تنهار ماري كوري العملاقة بعد أن نهش الإشعاع الذري صحتها، وهي التي كانت تعمل ليل نهار دون أن تعلم الضرر الفادح للإشعاعات على الجسم البشري.

ها هي المرأة التي قلبت موازين العلم رأسا على عقب ولا تزال اكتشافاتها وإبحاثها شديدة التأثير في حياتنا الحاضرة، تنتشد طريقا ما للعلم فلا تجد سوى فقر مدقع ومجتمع شديد القسوة.



العودة إلى الماضي أسلوب
أخذته المخرجة الفرنسية
في قراءتها التصويرية لسيرة
حياة الفتاة البولندية
المعروفة باسم ماري كوري

لم تكن تلك الفتاة على الرغم من ذكائها وثقافتها السريع لتستطيع وحدها مواجهة ذلك السياج العالي من السيطرة الذكورية المطلقة، وغرور العلماء بأن ما توصلوا إليه هو قمة العلم ونهاياته.

باريس بشوارعها شبيهة المعتمة في الشتاء وليس سوى أصوات العربات التي تجرّها الخيول وفخاة شبيهة تائهة تبحث عن مالذ؛ الأنوثة الصامته وهي تحوض في معترك لا حدود له والصعوبات والتحديات من حولها تزيد وتنضج.

أسلوب العودة إلى الماضي هو الذي أخذته المخرجة في قراءتها التصويرية لسيرة حياة الفتاة البولندية ماري سكلودوسكا، المعروفة باسم ماري كوري، والتي كتبها المسرحي والمؤلف والناقد البريطاني جاك ترون، وما نحن مع آخر مراحل حياة ماري وهي تسترجع كل ماضيها.

في عتمة الزمن سوف تلتقي العالم الفرنسي بيير كوري لينشركا الاهتمامات والتخصص العلمي والطوح الكبير، لكنها تخبره وقد ارتبطا بعلاقة حب عاصفة قائلة «إنني امرأة إنانية ولست بمواصفات



فيزيائية أربكت العالم، لكن الحياة قست عليها



عالمة سيرة السمعة

البشرية فقد بدت مباشرة تماما، ولم تكن مرتبطة بصميم ما قامت به ماري كوري وأنجزته، وقد بدا أن تلك المشاهد ليست إضافة جوهريّة بقدر كونها تعليقا على الأحداث. وخلال ذلك لم ينقطع استخدام مشاهد العودة إلى الماضي، بما في ذلك تذكر صوت أم ماري بعد إصابتها بمرض السل وعجز الابنة عن فعل شيء من أجلها.

ولعلّ من المشاهد المؤثرة أيضا ذلك المشهد الذي تذهب فيه ماري لتسلم جائزة نوبل الثانية، فتفاجأ بأن لا أحد من الشخصيات المرموقة التي جاءت إلى مقر الأكاديمية السويدية يرحّب بها، على الرغم من إنجازها وسمعتها التي انتشرت في كل مكان. لكن يضع نساء هن اللاتي يجعلن الجميع يصفق لها.

وفي موازاة ذلك كانت حياتها الجديدة لا شك أن أفلام السيرة الذاتية التي ما بعد الفضيحة التي نشرتها الصحف وجازتني نوبل، قد قوبلت بطريقة أخرى في أوساط العلماء، إذ بدا أنه لا بد من التسليم بتلك الكفاءة العظيمة، ولهذا يكون اجتماعها بعلماء السوربون ملفتا للنظر ومن ثم يتم إعطاؤها كرسيًا للتدريس الجامعي.

لا شك أن أفلام السيرة الذاتية التي أنتج منها الكثير عبر تاريخ السينما هي من الأنواع السينمائية التي يجد صانعوها أنفسهم في مواجهة إشكالية الموضوعية والحفاظ على مراحل حياة الشخصية، ممّا يقرب العمل أكثر إلى الجانب الوثائقي. بينما يتطلب الفيلم الروائي الكثير من الصراعات والتحوّلات والاستثمار في الشخصيات وإيجاد خطوط في السرد قد لا تكون بنفس ما هي عليه في حياة الشخصية، وإنما بتدخل في معالجة الأحداث والمتغيرات، وهو ما اشتغلت عليه المخرجة مرجان سترابي لتقديم مزيج ممّا هو وثائقي ومباشر وما هو درامي مرتبط بأحداث مهمة مرت بها الشخصيات.

الممثلة البريطانية روزاموند بايك أجادت تأدية دور الفتاة البولندية النحيفة ماري كوري، في جل مراحل حياتها المهنية والعاطفية



تمكّن زوجة بول من تسليط مخبر سري يتمكن من العثور على مراسلات غرامية بين بول وماري وتضمن موضوعات حميمة.

ومن هناك، سيصاب المجتمع الفرنسي المحافظ بالصدمة والذهول مع انتشار قصة غراميات ماري في الصحافة الفرنسية، ممّا يؤلب عليها الرأي العام الفرنسي.

وفي مشاهد موجهة وشديدة التأثير يتجمّع فرانسوا أمام منزل ماري لتسليمها ونعتها بأبشع الأوصاف، ويدعونها بوصفها بولندية إلى العودة إلى بلادها ويقولون لها إن المجتمع الفرنسي لا يمكنه أن يتقبل الساقطات.

هذا الصراع النفسي الحاد أرحى بظلاله على شخصية ماري بين كونها عالمة مرموقة وصلت إلى أعلى مراتب العلم ثم نيلها جائزة نوبل ثانية في الكيمياء، وبين مجتمع يحقرها ويتدخل في حياتها الخاصة.

إنجازات في الميدان

حرصت المخرجة مرجان سترابي على الرّجّ بالعديد من المشاهد الوثائقية وغير الوثائقية التي لم يكن قسم كبير منها ضروريا. ومن ذلك الانتقال من إنجازات الثنائي كوري العلمية المتطورة إلى الصروب والصراعات وإلقاء القنابل، وصولا إلى إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما وناكازاكي في اليابان في عام 1945، على أساس أن الإشعاعات الذرية التي عملت عليها «مدام» كوري هي التي أدت البشرية مثل الدواء وآثاره الجانبية. ومن جهة أخرى هناك مشاهد خاصة بجاذبة تشيرنوبل في عام 1986، ومرحلة انتشار الإشعاعات وما أوقعته من مأس في أوساط العاملين في تلك المنشأة. ولعل هذه الإضافات الوثائقية إن أريد بها إدانة استخدام نتائج العلم لإيذاء

أية امرأة، وعلى هذا يكون ترشح مدام كوري لجائزة نوبل حدثا استثنائيا بوصفها أول امرأة تنال ذلك التكريم العالمي في عام 1903.

صاحبة جائزة نوبل، ماري كوري، كانت تعمل ليل نهار دون أن تعلم مدى الضرر الفادح للإشعاعات على الجسم البشري

ومع ذلك الفوز اللامع سوف تستيقظ في نفس السيدة كوري مشاعر التمييز، إذ لماذا يذهب زوجها وحده إلى ستوكهولم لتسلم الجائزة ويترك زوجته وراءه؟ وهو أمر ألم السيدة/العالمية كثيرا ووقفت محتجة في وجهه الزوج الذي لم يعيش بعدها كثيرا ليמות في حادث ويترك ماري وحدها مع فتياتين صغيرتين. وهذه المحطات الأساسية في حياة ماري كوري والتي ترتبط بمرحلة من حياة زوجها ما تلبث أن تليها صفحات أخرى من المكابدة والعناء.

ما أسسه الزوج قبيل رحيله هو النقل الذي بني عليه السرد الفيلمي من خلال الأحداث المتتابعة، فهناك تحولات تلفت النظر في ما يتعلق بماري التي وجدت نفسها تؤدي عدة أدوار، فهي الحبيبة والزوجة والعالمة في آن واحد. ولكنها لتفادي التصادم مع مجتمع ذكوري صارم تؤدي دور الزوجة الحريصة على حياتها الزوجية حتى وفاة زوجها، وساعتها تتغير الأحوال.

صور مخبأة

تعيش ماري حياة خاصة محافظة بعد موت زوجها لتتسمر مرة أخرى، كما هي حالها يوم كانت شابة مسالمة ووحيدة، بالعزلة؛ لا تجد من تستند إليه حتى تتغير نظرتها نحو بول لانجفين (الممثل أنورين برنارد) الذي كان أحد تلاميذ زوجها ولترتبط معه بعلاقة حب سوف تغير مسار حياتها.

التحوّل الدرامي يكمن في اكتشاف زوجة بول تلك العلاقة السرية، وعلى الرغم من أنها تتصدّى لماري وتحذرها من المضي في تلك العلاقة، إلا أنها سوف تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، باتجاه الانتقام. لا يوجد تمهيد كاف لذلك التحوّل الحاد في مسار أحداث الفيلم وفي حياة ماري، لجهة